مجموعة قصص الأنبياء

بإشراف
محمد أحمد برانق



٥

ابراهيم الخليل عليه السلام

دار المعارف بمصر

مجموعة قصص الأنبياء

٥

بإشراف
محمد أحمد برانق

إبراهيم الخليل

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

١

بَعْدَ أَنْ أَغْرَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَوْمَ نُوحٍ الْكَافِرِينَ بِطُوفَانِهِ الْعَظِيمِ ، وَنَجَا نُوحٌ وَمَنْ آمَنَ بِهِ بِالسَّفِينَةِ الَّتِي صَنَعَهَا بِأَمْرِ اللهِ — خَرَجَ هٰؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ السَّفِينَةِ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ بَلَعَتْ مَاءَهَا ، وَسَعَوْا فِي أَرْجَائِهَا فِي سَبِيلِ الْعَيْشِ ، ثُمَّ تَبَعْثَرَ أَفْرَادُهُمْ ، وَتَشَتَّتَتْ جَمَاعَاتُهُمْ ، وَاتَّجَهَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ .

مَرَّتْ عَلَى ذٰلِكَ سِنُونَ وَأَجْيَالٌ ، تَنَاسَلُوا فِيهَا وَتَكَاثَرُوا ، وَعَمَرَتِ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ مِنْ جَدِيدٍ ، وَكَوَّنُوا شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ، طَغَوْا وَبَغَوْا ، وَعَادُوا إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ مِنْ كُفْرٍ وَضَلَالٍ . أَرْسَلَ اللهُ إِلَى قَوْمٍ مِنْهُمْ نَبِيَّهُ هُودًا ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ ؛ فَسَخَّرَ اللهُ عَلَى الْكَافِرِينَ رِيحًا شَدِيدَةً أَهْلَكَتْهُمْ . وَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ نَبِيَّهُ صَالِحًا ، وَلٰكِنَّهُمْ عَصَوْا ، فَعَذَّبَهُمُ اللهُ وَأَهْلَكَهُمْ بِالصَّوَاعِقِ .

وَكَانَ مِمَّنْ طَغَى وَبَغَى فِي الْأَرْضِ ، وَأَقَامَ الْأَصْنَامَ وَعَبَدَهَا —

أَقْوَامٌ سَكَنُوا بِلَادَ الْأَهْوَازِ وَفَارِسَ وَالْعِرَاقِ وَمَا حَوْلَهَا ؛ وَكَانَ عَلَيْهِمْ مَلِكٌ اسْمُهُ نَمْرُوذُ . وَكَانَ نَمْرُوذُ هٰذَا مَلِكاً شَرِهاً ، وَاسِعَ الْمَطَامِعِ ، يَوَدُّ أَنْ يَجْتَمِعَ لَهُ مُلْكُ الْأَرْضِ ، وَيَتَمَنَّى لَوْ تَنْطَوِى تَحْتَ سُلْطَانِهِ الشُّعُوبُ وَالْقَبَائِلُ .

فَكَانَ لِهٰذَا السَّبَبِ يَجْتَمِعُ حَوْلَهُ الْكَهَنَةُ ، وَكُلُّ ذِى عِلْمٍ بِالسِّحْرِ ، وَإِلْمَامٍ بِالتَّنْجِيمِ ، لِيُعَرِّفُوهُ مَا يَقَعُ فِى مُلْكِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ فِى مُسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ ، لِتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ عَلَى سَيْطَرَتِهِ عَلَى أَوْسَعِ رُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ .

عَرَفَ هٰؤُلَاءِ الْكَهَنَةُ وَالسَّحَرَةُ وَالْمُنَجِّمُونَ أَغْرَاضَهُ فَكَانُوا لِذٰلِكَ يَتَبَارَوْنَ فِى حَمْلِ الْأَخْبَارِ السَّارَّةِ إِلَيْهِ ، وَالتَّنَبُّؤِ لَهُ بِالنُّبُوءَاتِ الَّتِى تُرْضِيهِ ، فَيَهْدَأُ خَاطِرُهُ ، وَيُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ .

وَفِى ذَاتِ يَوْمٍ أَتَى إِلَيْهِ هٰؤُلَاءِ الْمُنَجِّمُونَ ، وَوَقَفُوا مُتَرَدِّدِينَ ، كُلُّ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ زَمِيلُهُ هُوَ الْبَادِئَ فِى الدُّخُولِ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ بَادِئَ الْمَلِكِ فِى الْحَدِيثِ ، وَالرَّاوِىَ لِلْمَلِكِ النَّبَأَ الْمَشْئُومَ الَّذِى أَتَوْا مِنْ أَجْلِهِ ، وَالَّذِى لَمْ يَجِدُوا بُدًّا مِنْ إِعْلَامِهِ بِهِ ، وَحَمْلِهِ إِلَيْهِ ، عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا يَعْلَمُونَ

مِنْ عِظَمِ وَقْعِهِ ، وَشِدَّتِهِ عَلَيْهِ .

وَأَخِيراً تَشَجَّعَ كَبِيرٌ مِنْهُمْ ، وَتَقَدَّمَ مِنَ الْمَلِكِ قَائِلاً :

يَا مَلِكَنَا ؛ لَقَدِ اعْتَدْنَا أَنْ نُخْبِرَكَ مَا يَصِلُ إِلَى عِلْمِنَا مِنَ الأُمُورِ .

قَالَ الْمَلِكُ ، وَقَدْ تَجَلَّتْ عَلَى وَجْهِهِ عَلَامَاتُ السُّرُورِ : نَعَمْ وَقَدْ نَبَّأْتُمُونِي دَائِماً بِمَا تَحَقَّقَتْ نُبُوءَتُهُ : مِنْ تَمَلُّكِنَا ، وَبَسْطِ سُلْطَانِنَا ؛ فَبِمَاذَا الْيَوْمَ أَنْتُمْ مُتَنَبِّئُونَ ؟

قَالَ الْكَاهِنُ ، وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَيُرَقِّقَ مِنْ لَهْجَتِهِ ، خَشْيَةَ بَطْشِ الْمَلِكِ بِهِ :

يَا مَوْلَانَا ؛ قَدْ أَنْبَأَتْنَا النُّجُومُ الْيَوْمَ خِلَافَ مَا اعْتَدْنَا أَنْ نُخْبِرَكَ بِهِ .

قَالَ الْمَلِكُ ، وَقَدِ ارْبَدَّ وَجْهُهُ : أَفْصِحْ ، مَا الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ؟

قَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ وَجَدْنَا فِي عِلْمِنَا أَنَّهُ سَيُولَدُ بِقَرْيَتِكَ غُلَامٌ لَا يُؤْمِنُ بِدِينِكُمْ ، وَيَكْسِرُ أَوْثَانَكُمْ ، وَيُؤَلِّبُ النَّاسَ عَلَيْكُمْ ، وَيَدْعُوكُمْ إِلَى دِينٍ جَدِيدٍ .

فَانتَفَخَتْ أَوْدَاجُ الْمَلِكِ مِنَ الْغَضَبِ ، وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وَغَلَى دَمُهُ ، وَدَارَ رَأْسُهُ ، وَصاحَ :

وَمَا صِفَةُ هٰذَا الْغُلَامِ ؟ ! وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي ؟ !

فَأَجَابَ الْكَاهِنُ : سَيَكُونُ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمَ ، وَسَيَكُونُ مِيلَادُهُ فِي الشَّهْرِ السَّادِسِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ .

فَصَاحَ الْمَلِكُ مُتَوَعِّداً : وَيْلٌ لَهُ ، سَوْفَ لَا أَدَعُهُ يَرَى النُّورَ . .

فَلَمَّا هَلَّتِ السَّنَةُ الْجَدِيدَةُ ، الَّتِي تَنَبَّأَ مُنْبِئُو الْمَلِكِ بِحُدُوثِ الْحَدَثِ الْعَظِيمِ فِيهَا — أَمَرَ الْمَلِكُ بِجَمْعِ نِسَاءِ الْقَرْيَةِ جَمِيعاً ، وَحَصْرِهِنَّ فِي مَكَانٍ أَعَدَّهُ لَهُنَّ ؛ فَطَافَ رِجَالُهُ وَأَعْوَانُهُ يَجْمَعُونَ النِّسَاءَ مِنْ دِيَارِهِنَّ ، وَيُخْرِجُونَهُنَّ مِنْ خِبَائِهِنَّ ، وَيَذْهَبُونَ بِهِنَّ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ عَلَى هٰؤُلَاءِ النِّسْوَةِ ، وَهُنَّ بِسِجْنِهِنَّ ، وَكُلَّمَا ظَهَرَتْ أَعْرَاضُ الْحَمْلِ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حُجِزَتْ مَعَ مَثِيلَاتِهَا . حَتَّى أَتَى الشَّهْرُ الْمَوْعُودُ . فَكَانَتْ كُلُّ مَنْ تَلِدُ فِيهِ مِنْهُنَّ يُؤْخَذُ مِنْهَا وَلِيدُهَا حَيْثُ يُقْتَلُ لِسَاعَتِهِ .

فَلَمَّا أَوْفَى الشَّهْرُ أَيَّامَهُ ، أَمَرَ الْمَلِكُ بِالْإِفْرَاجِ عَمَّنْ بَقِيَ مِنَ النِّسَاءِ بِالسِّجْنِ ، وَقَدِ اسْتَرَاحَ قَلْبُهُ ، وَهَدَأَ بَالُهُ ، وَسَكَنَ رَوْعُهُ .

وَلٰكِنْ مَا خُطَّ فِي لَوْحِ الْقَدَرِ كَانَ لاَ بُدَّ أَنْ يَحْدُثَ .

فَقَدْ كَانَ يُقِيمُ بِهٰذِهِ الْقَرْيَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ تَارِخُ بْنُ نَاحُورٍ ، وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ اسْمُ آزَرَ ،وَصِنَاعَتُهُ النِّجَارَةُ وَصُنْعُ تَمَاثِيلَ وَأَصْنَامٍ كَالَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ ، يُسَوِّيهَا مِنَ الْخَشَبِ ، وَيَبِيعُهَا ، فَيَشْتَرِيهَا النَّاسُ ، يَضَعُونَهَا فِي مَنَازِلِهِمْ تَبَرُّكاً بِهَا .

وَكَانَ بَيْنَ نِسَاءِ هٰذَا الرَّجُلِ جَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ ، لاَ يَظُنُّ مَنْ يَرَاهَا أَنَّهَا قَدْ بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ .

فَحِينَمَا طَافَ أَعْوَانُ الْمَلِكِ يَجْمَعُونَ النِّسَاءَ ، تَرَكُوهَا ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهَا طِفْلَةٌ مِنْ أَطْفَالِ النَّجَّارِ . وَلَمْ يَفْطِنْ أَحَدٌ إِلَى أَنَّ هٰذِهِ الطِّفْلَةَ يَكْمُنُ فِي أَحْشَائِهَا جَنِينٌ لَمْ يَسْتَكْمِلْ خَلْقَهُ بَعْدُ .

فَلَمَّا مَرَّتِ الْأَيَّامُ عَلَى الْجَارِيَةِ ، وَتَعَرَّفَتْ حَقِيقَةَ حَالِهَا ، أَسَرَّتْ إِلَى بَعْلِهَا بِهِ . فَتَحَيَّرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهَا ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ:

كَيْفَ يَتَدَبَّرُ هٰذَا بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ ؟ ! وَقَالَ لَهَا :

لَيْسَ أَمَامِي إِلَّا أَنْ أَخْرُجَ بِكِ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ ، فَأُخْفِيَكِ فِي أَحَدِ الْكُهُوفِ حَتَّى تَضَعِي حَمْلَكِ .

فَامْتَثَلَتِ الْفَتَاةُ لِلْأَمْرِ الْوَاقِعِ ، وَتَبِعَتْهُ ، حَتَّى خَرَجَ بِهَا إِلَى جَبَلٍ فِي ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ ، فَأَوْدَعَهَا أَحَدَ كُهُوفِهِ .

وَصَارَ يَأْتِي إِلَيْهَا بَعْدَ ذٰلِكَ فِي سِرٍّ مِنَ النَّاسِ كُلَّ لَيْلَةٍ ؛ يَحْمِلُ إِلَيْهَا طَعَامَهَا وَشَرَابَهَا ، وَيَتَعَهَّدُهَا ، وَيَرْعَى شُئُونَهَا ، حَتَّى وَضَعَتْ حَمْلَهَا ، وَكَانَ مَوْلُودُهَا غُلَامًا جَمِيلًا ، وَافِرَ النُّمُوِّ سَمَّاهُ أَبُوهُ « إِبْرَاهِيمَ » .

وَنَمَا الطِّفْلُ إِبْرَاهِيمُ نُمُوًّا سَرِيعًا ، لَيْسَ كَنُمُوِّ الْأَطْفَالِ ، فَكَانَ يَمُرُّ الْيَوْمُ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ يَوْمَانِ ، وَيَمُرُّ الشَّهْرُ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ شَهْرَانِ . وَكَانَ كُلَّمَا أَتَى الْأَبُ لِزِيَارَةِ الطِّفْلِ وَأُمِّهِ ، وَسَأَلَ الْأُمَّ عَنْ حَاجَتِهِمَا إِلَى الطَّعَامِ قَالَتْ : إِنَّ الطَّعَامَ لَا يَزَالُ وَافِرًا ، وَالرِّزْقَ مُبَارَكٌ فِيهِ ، وَالطِّفْلَ مَعَ سُرْعَةِ نُمُوِّهِ لَا يَطْلُبُ غِذَاءً كَثِيرًا . وَشَبَّ الطِّفْلُ،فَصَارَ يَسْأَلُ أُمَّهُ : مِنْ أَيْنَ يَأْتِي وَالِدِي ؟! وَإِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ ؟ ! وَلِمَاذَا نَحْنُ هُنَا ؟ !

وَكَانَتِ الْأُمُّ تُجِيبُ كُلَّ مَرَّةٍ بِمَا يُنِيرُ السَّبِيلَ أَمَامَ الْغُلَامِ، وَيَهْدِيهِ إِلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ. فَكَانَ الْغُلَامُ يَجْلِسُ طَوِيلًا يُفَكِّرُ وَيَتَأَمَّلُ فِي كَلَامِ أُمِّهِ؛ وَأَخِيراً صَحَّ مِنْهُ الْعَزْمُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى حَيْثُ يَذْهَبُ أَبُوهُ.

فَلَمَّا أَتَاهُ أَبُوهُ، قَالَ لَهُ: يَا أَبِي، إِنِّي أَوَدُّ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى حَيْثُ تَذْهَبُ أَنْتَ.

وَكَانَ أَبُوهُ إِلَى ذَٰلِكَ الْحِينِ لَمْ يَخْرُجْ بِهِ مِنَ الْكَهْفِ، خَشْيَةَ أَنْ تَقَعَ عَيْنُ أَحَدٍ عَلَيْهِ، فَيَشِيَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ نَمْرُوذَ؛ وَلٰكِنْ مَا إِنْ طَلَبَ مِنْهُ وَلَدُهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ حَتَّى عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ بِهِ، وَاسْتِصْحَابِهِ إِلَى أَهْلِهِ بَعْدَ أَنْ تَقَادَمَ الْعَهْدُ، وَنَسِيَ النَّاسُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْمَلِكِ.

فَقَالَ لِوَلَدِهِ: تَعَالَ مَعِي يَا وَلَدِي لِأُرِيَكَ مَا فِي الدُّنْيَا.

وَاصْطَحَبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ إِلَى خَارِجِ الْكَهْفِ: حَيْثُ النُّورُ وَالْحَيَاةُ، وَسَارَ بِهِ فَوْقَ الْجَبَلِ يُرِيهِ كُلَّ مَا يَمُرَّانِ عَلَيْهِ مِنْ أَشْيَاءَ.

وَكَانَ الْوَقْتُ أَصِيلًا، وَالشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ نَحْوَ الْأُفُقِ،

وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَخْتَفِيَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قُرْصٌ ضَئِيلٌ ، يُرْسِلُ أَشِعَّةً ذَهَبِيَّةً حَمْرَاءَ ، تَنْتَشِرُ هُنَا وَهُنَاكَ .

وَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ فَوْقُ إِلَى مَا أَمَامَهُ مِنْ مَنَاظِرَ خَلَّابَةٍ ، تَمْتَدُّ حَتَّى امْتِدَادِ الْأُفُقِ ، وَقَدْ بُهِتَ وَمَلَكَهُ الْعَجَبُ ، وَبَدَأَ يُفَكِّرُ ، وَيَسْأَلُ نَفْسَهُ :

مَا هٰذِهِ الْأَشْيَاءُ الْجَمِيلَةُ ؟ ! وَلِمَنْ هِيَ ؟ ! وَمَنْ صَنَعَهَا ؟ !

رَأَى مِيَاهَ النَّهْرِ تَنْسَابُ ، وَتَتَكَسَّرُ عَلَيْهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ الْغَارِبَةِ ، فَبَدَتْ تَتَلَأْلَأُ كَأَحْجَارِ الْمَاسِ ، يَجْرِي عَلَيْهَا ذَهَبُ الْأَصِيلِ ؛ فَسَأَلَ أَبَاهُ : مَا هٰذَا يَا أَبِي ؟ !

أَجَابَ الْأَبُ : هٰذَا هُوَ الْمَاءُ الَّذِي نَشْرَبُ مِنْهُ نَحْنُ ، وَيَشْرَبُ مِنْهُ حَيَوَانُنَا ، وَتُرْوَى بِهِ أَرْضُنَا ، وَلَا حَيَاةَ لَنَا بِدُونِهِ .

رَأَى جَمَاعَاتِ النَّاسِ يَعُودُونَ مِنْ حُقُولِهِمْ ، وَمَعَهُمْ مَاشِيَتُهُمْ وَدَوَابُّهُمْ ؛ فَسَأَلَ أَبَاهُ مَرَّةً أُخْرَى : وَمَا هٰذَا يَا أَبِي ؟ !

فَيُجِيبُ الْأَبُ : هٰؤُلَاءِ رِجَالٌ يَعُودُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ فَلَحُوا الْأَرْضَ وَزَرَعُوهَا ، لِتُخْرِجَ لَنَا مَا نَأْكُلُ ؛ وَهٰذِهِ حَيَوَانَاتُهُمْ : فَهٰذِهِ شَاةٌ تُدِرُّ اللَّبَنَ الَّذِي نَأْكُلُهُ ، وَنَأْخُذُ مِنْهَا

الصُّوفَ لِنَصْنَعَهُ مَلَابِسَ ؛ وَهٰذَا حِمَارٌ يَحْمِلُ الْحَطَبَ ، وَهٰذَا ...

وَظَلَّ الرَّجُلُ يَصِفُ لِابْنِهِ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ ، وَيُعَرِّفُهُ أَسْمَاءَ كُلِّ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ عَيْنُهُ ، وَيُرِيهِ قَرْيَتَهُ وَمَنَازِلَ قَوْمِهِ ، وَيُحَدِّثُهُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، وَعَنْ عَادَاتِهِمْ ، وَعِبَادَاتِهِمْ ، حَتَّى انْتَشَرَ الظَّلَامُ ، فَتَرَكَهُ عَلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ فِي صَبَاحِ غَدٍ لِاصْطِحَابِهِ هُوَ وَأُمِّهِ إِلَى قَوْمِهِ .

وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ فَوْقَ الْجَبَلِ ؛ يَتَأَمَّلُ عَظَمَةَ هٰذَا الْكَوْنِ ، وَيُسَائِلُ نَفْسَهُ : مَا هٰذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ ؟! وَلِمَنْ هِيَ ؟! وَمَنْ صَنَعَهَا ؟!

إِنَّ هٰذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا صَانِعٌ ! لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا خَالِقٌ ! لَا بُدَّ لَهَا مِنْ إِلٰه ! لَا بُدَّ لَهَا مِنْ رَبٍّ !

ثُمَّ يَعُودُ إِلَى ذِهْنِهِ حَدِيثُ أَبِيهِ ، وَحَدِيثُ أُمِّهِ مِنْ قَبْل ، فَيَهُزُّ رَأْسَهُ نَافِيًا مُتَشَكِّكًا .

وَقَضَى إِبْرَاهِيمُ لَيْلَتَهُ إِلَى جَانِبِ أُمِّهِ لَا يَغْمُضُ لَهُ جَفْنٌ ، يَسْتَعْرِضُ مَا رَأَى ، وَيُفَكِّرُ فِيمَا سَمِعَ .

٢

أَمَّا آزَرُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ لِي فِي مَكَانٍ كَذَا أَهْلًا وَوَلَداً ، فَمَا تَرَوْنَ فِي إِحْضَارِهِمْ مَعِي ؟ قَالُوا : أَحْضِرْهُمْ يَا آزَرُ ، فَمَا عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنَ الضَّيْرِ ! فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ عَمَلِهِ ذَهَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَأُمِّهِ ، وَأَتَى بِهِمَا إِلَى دَارِهِ .

ثُمَّ طَافَ آزَرُ بِابْنِهِ يُرِيهِ الْمَدِينَةَ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا .

وَأَصْبَحَ إِبْرَاهِيمُ فَوَجَدَ أَبَاهُ يَأْخُذُ خَشَبَ الْأَشْجَارِ فَيَنْجُرُهَا ، وَيُسَوِّيهَا ، وَيَصْنَعُ مِنْهَا تَمَاثِيلَ الْأَصْنَامِ .

فَسَأَلَ أَبَاهُ : مَا هٰذَا الَّذِي تَصْنَعُهُ يَا أَبِي ؟! فَيُجِيبُ الْأَبُ : هٰذِهِ تَمَاثِيلُ لِلْأَصْنَامِ الَّتِي نَعْبُدُهَا ، وَنَتَّخِذُهَا آلِهَةً .

فَيَسْأَلُ إِبْرَاهِيمُ : وَأَيْنَ هِيَ آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا ؟!

فَيُجِيبُ آزَرُ : هِيَ الْأَصْنَامُ الَّتِي تَرَاهَا فِي بَيْتِ الْآلِهَةِ .

فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : أَتَعْبُدُونَ أَصْنَاماً تَنْحِتُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الْحِجَارَةِ ، أَوْ تَنْجُرُونَهَا مِنَ الْخَشَبِ ؟!

عِنْدَئِذٍ يَغْضَبُ آزَرُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ابْنِهِ ، وَيَنْهَرُهُ بِشِدَّةٍ ، وَيَنْهَاهُ بِقَوْلِهِ : لاَ تَتَفَوَّهْ ثَانِياً بِمِثْلِ هٰذَا الْقَوْلِ .

وَتَرَكَ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ ، وَانْفَرَدَ يَسْتَعْرِضُ مَا رَأَى ، وَيُفَكِّرُ فِيمَا سَمِعَ ، وَيُسَائِلُ نَفْسَهُ مِنْ جَدِيدٍ :

مَنْ هُوَ الْخَالِقُ ؟ ! مَنْ هُوَ الْإِلٰهُ ؟ ! مَنْ هُوَ الرَّبُّ ؟ !

وَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وهُوَ لاَ يَزَالُ غَارِقاً فِي تَأَمُّلاَتِهِ ، تَائِهاً فِي تَفْكِيرِهِ .

وَفَجْأَةً رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَوَجَدَ نُورًا يَلْمَعُ بَرَّاقاً وَسَطَ حُلْكَةِ الظَّلاَمِ ، وَكَانَ نَجْمَ الْمُشْتَرِي ؛ فَصَاحَ : لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ هٰذَا رَبِّي .

وَظَلَّ بَصَرُهُ عَالِقاً بِهِ ، حَتّى غَرَبَ النَّجْمُ وَأَفَلَ ؛ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ حَزِيناً ، وَقَالَ : لاَ ، لَيْسَ هٰذَا رَبًّا ! ! إِنِّي لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ ! !

وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ يَرْقُبُ النُّجُومَ ، وَيَعْجَبُ مِنْ تَلأْلُئِهَا فِي السَّمَاءِ ، حَتَّى بَزَغَ الْقَمَرُ بِنُورِهِ وَجَمَالِهِ ، فَقَالَ : هٰذَا رَبِّي !

وَظَلَّ شَاخِصاً إِلَيْهِ يَتَأَمَّلُ نُورَهُ فِي خُشُوعٍ ، وَيُسَرِّحُ الطَّرْفَ فِي جَمَالِهِ بِإِعْجَابٍ ، إِلَى أَنْ غَابَ عَنْ نَظَرِهِ . فَقَالَ :

لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ! !

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ .... وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ
قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا
قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ
قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأنعام – الآيات من ٧٥ : ٧٨]

وَانقَضَى اللَّيْلُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ لاَ يَزَالُ يَتَخَبَّطُ فِي تَخَيُّلاَتِهِ ، تَائِهاً فِي تَأَمُّلاَتِهِ وَأَفْكَارِهِ .

ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ بِجِرْمِهَا الْعَظِيمِ ، وَنُورِهَا السَّاطِعِ ، وَأَشِعَّتِهَا الْمُتَوَهِّجَةِ ! فَصَاحَ إِبْرَاهِيمُ فَرِحاً : هٰذَا رَبِّي ! هٰذَا أَكْبَرُ !

وظَلَّ يَوْمَهُ يُسَبِّحُ لَهَا ؛ فَلَمَّا غَابَتْ وَلَّى وَجْهَهُ شَطْرَ قَوْمِ أَبِيهِ ، وَقَالَ : يَا قَوْمِ ؛ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ .

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ يَرَى أَبَاهُ يُنْفِقُ وَقْتَهُ كُلَّهُ فِي صُنْعِ تَمَاثِيلِ الأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُهَا ، وَيَعْبُدُهَا قَوْمُهُ ، فَتَتَأَلَّمُ نَفْسُهُ ، وَيَقُولُ لأَبِيهِ : يَا أَبَتِ ؛ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ ، وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ؟ ! فَيُبْهَتُ آزَرُ وَيَقُولُ :

أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ ! أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ تَتَفَوَّهَ بِمِثْلِ هٰذَا الْقَوْلِ ؟ ! لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ !

ثُمَّ يَأْمُرُهُ قَائِلاً : خُذْ هٰذِهِ الأَصْنَامَ الَّتِي صَنَعْتُهَا ، وَاذْهَبْ بِهَا مَعَ إِخْوَتِكَ لِبَيْعِهَا فِي الأَسْوَاقِ .

وَيَدْفَعُ إِلَيْهِ عَدَداً مِنَ الأَصْنَامِ ، فَيَأْخُذُهَا إِبْرَاهِيمُ ، وَيَسِيرُ بِهَا فِي الطُّرُقَاتِ صَامِتاً ، يُفَكِّرُ فِي هٰذِهِ الآلِهَةِ الَّتِي

يَحْمِلُهَا فَوْقَ كَتِفِهِ ، وَيُنَادِي عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ :

مَنْ يَشْتَرِي مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ ؟ !

وَبَالَغَ إِبْرَاهِيمُ فِي الِاسْتِهْزَاءِ بِالْآلِهَةِ ، فَكَانَ يَحْمِلُ التَّمَاثِيلَ ، وَيَذْهَبُ بِهَا إِلَى النَّهْرِ ، فَيَجْلِسُ عَلَى حَافَتِهِ وَيَغْمِسُ رُءُوسَ الْأَصْنَامِ فِي مَائِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : لِمَ لَا تَشْرَبِينَ ؟ !

ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَبِيهِ مَعَ إِخْوَتِهِ ، وَقَدْ بَاعُوا هُمْ تَمَاثِيلَهُمْ وَأَصْنَامَهُمْ ، وَلَمْ يَبِعْ هُوَ شَيْئًا .

وَلَامَ النَّاسُ آزَرَ عَلَى تَصَرُّفَاتِ ابْنِهِ ، وَشَكَوْا إِلَيْهِ مَا يَتَلَفَّظُ بِهِ فِي حَقِّ آلِهَتِهِمْ ؛ فَضَاقَ آزَرُ بِابْنِهِ ذَرْعًا ، وَخَافَ عَلَى تِجَارَتِهِ الْبَوَارَ ؛ فَأَخَذَ يُعَنِّفُهُ عَلَى فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ ، وَكَفَّ عَنْ إِرْسَالِهِ بِالتَّمَاثِيلِ إِلَى السُّوقِ لِبَيْعِهَا .

وَلَمْ يَجِدْ إِبْرَاهِيمُ بُدًّا بَعْدَ أَنْ رَأَى تَعَصُّبَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ لِآلِهَتِهِمُ الَّتِي تَشْمَئِزُّ مِنْهَا نَفْسُهُ مِنْ أَنْ يَتْرُكَهُمْ ، وَيَصْعَدَ وَحْدَهُ فَوْقَ الْجَبَلِ ، حَيْثُ يَقْضِي يَوْمَهُ يَتَعَبَّدُ لِخَالِقِهِ ، وَيُفَكِّرُ فِيهِ لِيَعْرِفَهُ ، وَيَهْدِيَ قَوْمَهُ إِلَيْهِ .

٣

وَفَكَّرَ آزَرُ فِي عِلَاجٍ يَصْرِفُ بِهِ ابْنَهُ عَمَّا بِهِ، بَعْدَ أَنْ طَالَ عَلَيْهِ صَبْرُهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَجُرَّهُ ذَٰلِكَ إِلَى شَرٍّ لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ؛ فَلَمْ يَجِدْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُزَوِّجَهُ فَتَاةً جَمِيلَةً؛ لَعَلَّهَا تَشْغَلُ بَالَهُ، وَتَمْلَأُ فَرَاغَهُ، فَزَوَّجَهُ مِنْ سَارَةَ ابْنَةِ أَخِيهِ، وَكَانَتْ فَتَاةً بَارِعَةَ الْجَمَالِ، بَاهِرَةَ الْحُسْنِ، وَافِرَةَ الْمَلَاحَةِ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَصْرِفَ إِبْرَاهِيمَ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي خَالِقِهِ، أَوْ أَنْ تَكُفَّهُ عَنِ الْبَحْثِ عَنْ رَبِّهِ.

وَبَيْنَمَا هُوَ فَوْقَ الْجَبَلِ كَعَادَتِهِ يَتَأَمَّلُ فِي مَخْلُوقَاتِ اللّٰهِ، وَيُفَكِّرُ فِي عَظَمَةِ الْخَالِقِ — إِذْ بِهِ يَنْهَضُ وَيَنْحَدِرُ مُهَرْوِلًا مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ، وَهُوَ يَصِيحُ: لَقَدْ عَرَفْتُ رَبِّي! إِنَّ رَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ لَا يُرَى.

إِنَّ رَبِّي عَظِيمٌ يُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ!. وَكَانَ اللّٰهُ قَدْ أَوْحَى إِلَى ذِهْنِهِ بِالْحَقِّ، وَأَشَاعَ فِي قَلْبِهِ نُورَ الْإِيمَانِ..

وَأَتَى إبْرَاهِيمُ قَوْمَهُ ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ ؛ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

وَصَارَ مِنْ ذٰلِكَ الْحِينِ لَا يَكُفُّ عَنْ نَهْيِ النَّاسِ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَحَثِّهِمْ عَلَى تَرْكِهَا لِيَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ ؛ حَتَّى فَشَا أَمْرُهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَخَشِيَ أَبُوه أَنْ يُصِيبَهُ وَأَهْلَهُ بِسَبَبِهِ ضَرَرٌ كَبِيرٌ ؛ فَصَارَ يُخَاطِبُ وَلَدَهُ بِاللِّينِ تَارَةً ، وَيَزْجُرُهُ بِالْعُنْفِ تَارَةً أُخْرَى ، وَإِبْرَاهِيمُ ثَابِتٌ عَلَى رَأْيِهِ ، لَا يَحِيدُ عَنْ عَقِيدَتِهِ ، وَيَقُولُ لِأَبِيهِ فِي رِفْقٍ وَحَنَانٍ :

يَا أَبَتِ ؛ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ، فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا .

يَا أَبَتِ ؛ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا .

يَا أَبَتِ ؛ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ ، فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا .

فَيَنْصَرِفُ أَبُوهُ عَنْهُ غَاضِباً ، وَيُهَدِّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ بِالضَّرْبِ وَالرَّجْمِ إِذَا أَصَرَّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَيُبْعِدُهُ عَنْهُ فِى غِلْظَةٍ وَعُنْفٍ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ .... إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن
يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأنعام – الآيتان ٧٩ ، ٨٠]

وَقَالَ لَهُ أَبُوهُ يَوْماً لِيُحَبِّبَ إِلَيْهِ آلِهَتَهُمْ : يَا بُنَيَّ ؛ إِنَّ لَنَا عِيداً يُقَامُ فِيهِ احْتِفَالٌ عَظِيمٌ بِبَيْتِ الْآلِهَةِ ، يَحْضُرُهُ جَمِيعُ النَّاسِ تَقَرُّباً لَهَا ، وَأَوَدُّ أَلَّا تَتَخَلَّفَ عَنْ مُشَاهَدَتِهِ ، وَسَتَرَى عَظَمَةَ الآلِهَةِ ، فَيُعْجِبُكَ دِينُنَا فَتُؤْمِنُ بِهِ .

فَلَمَّا جَاءَ يَوْمُ الْعِيدِ ، اصْطَحَبَ الرَّجُلُ أَوْلَادَهُ ، وَمَعَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَسَارُوا فِي زَحْمَةِ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا يُهْرَعُونَ مُسْرِعِينَ ، وَقَدْ حَمَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ طَعَاماً بَيْنَ يَدَيْهِ ، يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَهُ السَّبْقُ فِي وَضْعِ طَعَامِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْآلِهَةِ فِي الصُّفُوفِ الْأُولَى حَتَّى تُبَارِكَهُ ، فَيَتَّسِعَ رِزْقُهُ ، وَيَزِيدَ مَالُهُ .

وَسَارَ إِبْرَاهِيمُ وَسَطَ هَؤُلَاءِ عَلَى مَضَضٍ ، وَهُوَ يَوَدُّ لَوْ يُمَكِّنُهُ اللهُ فَيَنْتَقِمَ مِنْهُمْ وَمِنْ آلِهَتِهِمْ ، وَفَجْأَةً انْتَحَى نَاحِيَةً مِنَ الطَّرِيقِ ، فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِيهَا ، وَقَالَ : آه ! ! اتْرُكُونِي ، ابْتَعِدُوا عَنِّي ، . . إِنِّي سَقِيمٌ ! !

فَتَرَكَهُ أَهْلُهُ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ؛ بَلْ كَانَ الْقَوْمُ يَرْكُلُونَهُ ، وَيَطَئُونَ قَدَمَيْهِ بِأَرْجُلِهِمْ ، لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ هَرْوَلَةٍ وَإِسْرَاعٍ .

فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةَ الْغَضَبِ ، وَالْكُرْهُ لَهُمْ وَلآلِهَتِهِمْ يَمْلأُ قَلْبَهُ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : تَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ .

انْزَوَى إِبْرَاهِيمُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ ، حَتَّى إِذَا رَأَى الْقَوْمَ قَدْ رَجَعُوا جَمِيعاً إِلَى مَنَازِلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَضَوْا يَوْمَ عِيدِهِمْ نَهَضَ هُوَ واتَّجَهَ إِلَى بَيْتِ الآلِهَةِ .

فَإِذَا هُوَ فِي بَهْوٍ عَظِيمٍ ، يَتَصَدَّرُهُ صَنَمٌ كَبِيرٌ ، ذُو رَأْسٍ ضَخْمٍ ، وَعَلَى جَانِبَيْهِ صُفَّتْ أَصْنَامٌ تَصْغُرُ فِي الْحَجْمِ تَدْرِيجِيًّا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى بَابِ الْمَعْبَدِ فِي دَائِرَةٍ وَاسِعَةٍ ؛ وَأَمَامَ هٰذِهِ الأَصْنَامِ وَضَعَ الْقَوْمُ طَعَامَهُمُ الَّذِي كَانُوا يَحْمِلُونَهُ مَعَهُمْ .

وَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الأَصْنَامِ ، ثُمَّ إِلَى الطَّعَامِ ، فَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ حَتَّى قَالَ لَهُمْ وَهُوَ يَضْحَكُ سَاخِراً مِنْهُمْ ، مُسْتَهْزِئاً بِهِمْ :

أَلا تَأْكُلُونَ ؟ ! فَلَمَّا لَمْ يَسْمَعْ جَوَاباً لِقَوْلِهِ ، عَادَ فَقَالَ :

مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ ؟ !

ثُمَّ دَارَ بِعَيْنَيْهِ فِي الْمَكَانِ فَرَأَى فَأْساً مِنْ حَدِيدٍ ، سَرْعَانَ مَا تَنَاوَلَهَا بِيَمِينِهِ ، وَانْقَضَّ بِهَا عَلَى الأَصْنَامِ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ

الشِّمَالِ ؛ يَنْزِلُ عَلَيْهَا ضَرْباً وَتَكْسِيراً ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا جَمِيعاً ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الصَّنَمُ الْأَكْبَرُ ؛ فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، وَعَلَّقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِهِ ، وَتَرَكَ الْمَكَانَ وَانْصَرَفَ .

وَعَادَ الْقَوْمُ إِلَى طَعَامِهِمْ ، لِيَأْخُذُوهُ وَيَأْكُلُوهُ بَعْدَ أَنْ بَارَكَتْهُ الْآلِهَةُ ، وَلَكِنَّهُمْ وَقَفُوا فِي أَمْكِنَتِهِمْ مَدْهُوشِينَ مَبْهُوتِينَ ، وَتَسَاءَلَ نَفَرٌ مِنْهُمْ : مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا ؟ ! إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ .

فَأَجَابَ نَفَرٌ آخَرُ : سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ .

وَأَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى اتِّهَامِ إِبْرَاهِيمَ ، فَمِنْ قَائِلٍ : إِنَّهُ كَانَ دَائِمَ الْهُزْءِ بِآلِهَتِنَا ، وَمِنْ قَائِلٍ : إِنَّهُ كَثِيراً مَا سَبَّهَا وَلَعَنَهَا وَكَفَرَ بِهَا ، وَدَعَانَا إِلَى الِانْصِرَافِ عَنْهَا .

ثُمَّ انْطَلَقُوا جَمِيعاً إِلَى مَلِكِهِمْ يُنَبِّئُونَهُ النَّبَأَ الْخَطِيرَ ، وَاسْتَمَعَ الْمَلِكُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ كُبَرَاءِ قَوْمِهِ إِلَى مَا يَقُولُونَهُ عَنْ جَرِيرَةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَاتِّهَامِهِمْ إِيَّاهُ بِكَسْرِ الْأَصْنَامِ . فَقَالُوا :

فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ، لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ! !

وَتَوَجَّهَ الْمَلِكُ وَأَرْبَابُ دَوْلَتِهِ إِلَى مَقَرِّ الْآلِهَةِ ، وَعَايَنُوا

مَا حَلَّ بِهَا؛ وَجِيءَ بِإِبْرَاهِيمَ، فسأَلُوهُ: أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰـذا بِآلِهَتِنَا يا إِبْرَاهِيمُ؟!

قَالَ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى الصَّنَمِ الْكَبِيرِ: بَلْ فَعَلَهُ، كَبِيرُهُمْ هٰذَا، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُون.

إِنَّهُ غَضِبَ مِنْ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَهُ هٰذِهِ الصِّغَارَ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا، فَكَسَّرَهُنَّ؛ أَلَا تُصَدِّقون؟!

وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْض. فَمِنْهُمْ مَنْ قَالُوا: إِنَّهُ لَعَلَى حَقٍّ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالُوا، وَقَدْ نَكَّسُوا رُءُوسَهُمْ: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ.

عِنْدَئِذٍ قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا، وَلَا يَضُرُّكُمْ؟! أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ! أَفَلَا تَعْقِلُون؟!

فَحَاجَّهُ الْقَوْمُ عِنْدَ ذٰلِكَ فِي اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، يَسْتَوْصِفُونَهُ إِيَّاهُ وَيُخْبِرُونَهُ أَنَّ آلِهَتَهُمْ خَيْرٌ مِمَّا يَعْبُدُ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِي؟! مَنِ الْأَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ؟! أَلَا تَعْلَمُونَ؟! وَأَنْشَأَ يَضْرِبُ لَهُمُ الْأَمْثَالَ، وَيَسُوقُ إِلَيْهِمُ الْبَرَاهِينَ، وَيُقِيمُ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ، بُرْهَانًا عَلَى صِدْقِ قَوْلِهِ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ نَمْرُوذُ :

أَرَأَيْتَ إِلٰهَكَ هٰذَا الَّذِي تَعْبُدُ ، وَتَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَتَذْكُرُ مِنْ قُدْرَتِهِ ؟ ! مَا هُوَ ؟ !

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ .

فَضَحِكَ الْمَلِكُ سَاخِراً ، وَقَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : كَيْفَ تُحْيِي وَتُمِيتُ ؟ !

قَالَ الْمَلِكُ : أَجِيءُ بِرَجُلَيْنِ قَدْ عَمِلَا عَمَلًا اسْتَوْجَبَا بِهِ الْقَتْلَ ، فَأَقْتُلُ أَحَدَهُمَا ، فَأَكُونُ قَدْ أَمَتُّهُ ، وَأَعْفُو عَنِ الْآخَرِ وَأَتْرُكُهُ ، فَأَكُونُ قَدْ أَحْيَيْتُهُ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ اللّٰهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ، فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ .

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَتَدَاوَلَ مَعَ قَوْمِهِ فِي شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَجْمَعُوا عَلَى حَرْقِهِ حَيًّا ، وَقَالُوا :

حَرِّقُوهُ ، وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ .

فَأَمَرَ نَمْرُوذُ بِسَجْنِ إِبْرَاهِيمَ حَتَّى يُجْمَعَ لَهُ الْحَطَبُ الَّذِي سَيُحْرَقُ فِيهِ .

وَتَنَافَسَ الْقَوْمُ فِي جَمْعِ الْحَطَبِ وَالْخَشَبِ وَخَرَجَ فِي سَبِيلِ ذٰلِكَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تَنْذُرُ قَائِلَةً : لَوْ تَحَقَّقَ لِي كَذَا ، أَوْ نِلْتُ كَذَا — لَأَحْطِبَنَّ فِي نَارِ إِبْرَاهِيمَ .

تَفْعَلُ ذٰلِكَ تَقَرُّباً مِنْهَا إِلَى آلِهَتِهَا الَّتِي سَيُحْرِقُ إِبْرَاهِيمُ احْتِسَاباً مِنْ أَجْلِهَا .

٤

أُقِيمَتِ الْمَحْرَقَةُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَى أَرْضٍ فَضَاءٍ وَاسِعَةٍ خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، وَأُوقِدَتِ النَّارُ حَتَّى تَوَهَّجَتْ وَاشْتَعَلَتْ ، وَتَعَالَتْ أَلْسِنَتُهَا ، حَتَّى بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَتَصَاعَدَ حَرُّهَا ، وَاشْتَدَّ لَفْحُهَا ، فَسَقَطَ فِيهَا الطَّيْرُ مِنْ أَجْوَازِ الْفَضَاءِ .

وَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ يَتَفَرَّجُونَ مُتَشَفِّينَ فِي حَرْقِ إِبْرَاهِيمَ ؛ فَامْتَلَأَتْ بِهِمُ السَّاحَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَاكْتَظَّتْ عَلَى سَعَتِهَا .

وَجِيءَ بِإِبْرَاهِيمَ مُحْكَمَ الْوِثَاقِ ، يَسِيرُ بِخُطًا مُتَّزِنَةٍ ، وَسْطَ حُرَّاسِهِ الَّذِينَ يَقُودُونَهُ ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ الْهُدُوءَ وَالسَّكِينَةَ ، تَحُفُّ بِهِ بِأَمْرِ رَبِّهَا الْمَلَائِكَةُ ؛ تُوحِي إِلَيْهِ بِالِاطْمِئْنَانِ وَالتَّشْجِيعِ .

وَلَمَّا صَارَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى حَافَةِ النَّارِ ، وَهَمَّ بِهِ حُرَّاسُهُ لِيُلْقُوهُ فِيهَا ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ :

اللّٰهُمَّ أَنْتَ الْوَاحِدُ فِي السَّمَاءِ ، وَأَنَا الْوَاحِدُ فِي الْأَرْضِ الَّذِي

يَعْبُدُكَ ، فَحَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَسَرْعَانَ مَا تَنَاوَلَتْهُ أَيْدِي الْحُرَّاسِ ، وَأَلْقَوْا بِهِ فِي النَّارِ .

عِنْدَئِذٍ هَلَّلَ النَّاسُ وَانْتَشَوْا فَرَحًا ، وَصَارُوا يَرْقُصُونَ وَيُصَفِّقُونَ ، وَيُهَنِّئُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِحَرْقِ عَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّ آلِهَتِهِمْ : إِبْرَاهِيمَ بْنِ آزَرَ .

وَأَمَرَ اللهُ النَّارَ بِقُدْرَتِهِ أَنْ : يَا نَارُ ؛ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ! !

وَانْفَضَّ النَّاسُ عَنِ الْمَحْرَقَةِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، وَعَادُوا إِلَى دِيَارِهِمْ يُقِيمُونَ بِهَا الْأَفْرَاحَ ابْتِهَاجًا بِنَصْرِ آلِهَتِهِمْ ؛ وَيُكَرِّرُونَ التَّهَانِي بِزَوَالِ غَرِيمِهِمْ .

وَظَلَّتِ النَّارُ تَأْكُلُ حَطَبَهَا أَيَّامًا ، وَكُلَّمَا مَرَّ بِهَا أَحَدٌ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا — خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ فِي دَاخِلِهَا شَخْصَيْنِ يَجْلِسَانِ ؛ وَشَاعَ هٰذَا الْخَبَرُ بَيْنَ الْقَوْمِ ، وَتَلَاغَطُوا بِهِ ؛ وَسَرْعَانَ مَا أَصْبَحَتِ النَّارُ مَزَارًا : يَأْتِي إِلَيْهَا النَّاسُ أَفْوَاجًا ، لِيَتَحَقَّقُوا مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ .

وَكَانَ الْمَلِكُ نَمْرُوذُ قَدْ أَمَرَ بِإِقَامَةِ الْأَصْنَامِ مِنْ جَدِيدٍ

وَقَدْ سَكَنَتْ نَفْسُهُ وَاسْتَرَاحَتْ لِحَرْقِ إِبْرَاهِيمَ ؛ وَقَدْ حَسِبَ أَنَّهُ صَارَ رَمَاداً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ، وَإِذَا بِقَوْمِهِ يَأْتُونَ إِلَيْهِ يَحْمِلُونَ مِنْ جَدِيدٍ خَبَرًا خَطِيرًا : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ مَا زَالَ قَائِمًا بِالنَّارِ ، وَلَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ بَعْدُ ! ! وَعَجِبَ الْمَلِكُ لِقَوْلِهِم ، وَلَمْ يُصَدِّقْ هٰذَا الْخَبَرَ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَقِيمُوا لِي سُرَادِقًا إِزَاءَ النَّارِ حَتَّى أَتَحَقَّقَ مِنْ هٰذَا الأَمْرِ. وَأُقِيمَتْ لَهُ مَنَصَّةٌ جَلَسَ عَلَيْهَا ؛ وَجَعَلَ يَتَفَرَّسُ فِي النَّارِ الْمُشْتَعِلَةِ ، يُحَاوِلُ أَنْ يَخْتَرِقَ بِنَظَرِهِ فَوْرَاتِ لَهِيبِهَا ، وَأَخِيراً رَأَى مَا رَأَى قَوْمُهُ : رَأَى إِبْرَاهِيمَ يَجْلِسُ دَاخِلَ النَّارِ ، وَكَأَنَّهُ يَمِيلُ إِلَى صَدْرِ شَخْصٍ يَمْسَحُ لَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَجَبِينِهِ . يَا لَلْعَجَبِ ! !

كَلِمَةٌ قَالَهَا الْمَلِكُ نَمْرُوذُ ، وَهُوَ بَيْنَ الدَّهْشَةِ وَالْحَيْرَةِ

أَإِبْرَاهِيمُ لاَ يَزَالُ حَيًّا بِهٰذِهِ النَّارِ الَّتِي تَتَلَظَّى . وَلَمْ يَمْلِكْ الْمَلِكُ لِسَانَهُ حِينَ قَالَ : نِعْمَ الرَّبُّ رَبُّكَ يَا إِبْرَاهِيمُ ! .

وَظَلَّ الْمَلِكُ قَائِماً فِي مَكَانِهِ إِزَاءَ النَّارِ ، حَتَّى أَكَلَتْ حَطَبَهَا وَخَشَبَهَا ، وَانْطَفَأَتْ ؛ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ لَمْ يَمْسَسْهُ سُوءٌ ، وَلَمْ تَنَلْ النَّارُ إِلَّا مِنْ وَثَاقِهِ ، فَأَحْرَقَتْهُ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ٦٦
أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٧
قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ٦٨
قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُوا۟
بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ٧٠ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأنبياء – الآيات من ٦٦ : ٧٠]

وَقَالَ الْمَلِكُ ؛ مُشِيرًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ : كَبِيرٌ إِلٰهُكَ يَا إِبْرَاهِيمُ هٰذَا الَّذِى حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّارِ بِقُدْرَتِهِ ، فَلَمْ تَمَسَّكَ بِسُوءٍ .

وَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَلْمِسُونَهُ وَيَتَحَسَّسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ .

كَانَ جَسَدًا حَيًّا ، يَتَصَبَّبُ الْعَرَقُ بِغَزَارَةٍ مِنْ جَبِينِهِ .

وَجِيءَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ ، فَسَأَلَهُ : لَقَدْ خُيِّلَ لَنَا أَنَّ مَعَكَ فِي النَّارِ شَخْصًا يَجْلِسُ بِجَانِبِكَ ، فَهَلْ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا ؟ !

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : نَعَمْ ؛ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا ؛ إِنَّهُ مَلَكٌ أَرْسَلَهُ إِلَيَّ رَبِّي لِيُؤْنِسَ وَحْدَتِي ، وَيُزِيلَ وَحْشَتِي ، وَيُطَمْئِنَ قَلْبِي .

فَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ نَفَرٌ غَيْرُ قَلِيلٍ .

وشَكَرَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ ، وَسَبَّحَ بِحَمْدِهِ ، عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ النِّعَمِ ، ثُمَّ قَالَ يُنَاجِي رَبَّهُ لِيَزِيدَهُ عِلْمًا : رَبِّ ؛ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ؟ قَالَ اللهُ : أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ ! قَالَ إِبْرَاهِيمُ : بَلَى ؛ وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي . فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَيَذْبَحَهَا ، وَيُقَطِّعَهَا ، وَيَمْزُجَ لَحْمَهَا بِرِيشِهَا وَدَمِهَا وَعَظْمِهَا ، وَيُكَوِّنَ مِنْهَا جَمِيعًا كُومَةً مِنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَرِيشٍ

وَدَمٍ ، ثُمَّ يُقَسِّمَها ، وَيَضَعَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ جُزْءًا مِنْهَا .

فَلَمَّا فعلَ إِبْرَاهِيمُ ذٰلِكَ ، قَالَ لَهُ رَبُّه : ادْعُهُنَّ يَأْتِينَك سَعْياً.

فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ الطُّيُورَ كَمَا أَمَرَهُ رَبُّه ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ حَيَّةً صَحِيحَةً ، تَطِيرُ بِأَجْنِحَتِهَا فِي الْجَوِّ ، وتَمْشِي عَلَى أَرْجُلِها فِي الْأَرْضِ . عِنْدَئِذٍ شَكَرَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ .

وَاضْطَهَدَ الْكَافِرُونَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنِ اتَّبَعَهُ ، وَآذَوْهُمْ ، وَبَالَغُوا فِي إِيذَائِهِمْ ، فَعَزَمَ إِبْرَاهِيمُ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَقَالُوا : إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ ؛ إِنِّي عَزَمْتُ عَلَى الْخُرُوجِ أَنَا وَمَنْ آمَنَ بِي ، فَاخْرُجْ مَعِي ، وَلاَ تَعْبُدْ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ ، وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً . وَمَالَ آزَرُ إِلَى اتِّبَاعِ ابْنِهِ ، وَلٰكِنَّهُ عَادَ فَعَزَّ عَلَيْهِ فِرَاقُ أَهْلِهِ وَبَلَدِهِ .

وَهَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ وَصَحْبُهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ ، يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ ، وَيَمْشُونَ فِي مَنَاكِبِهَا ، تَارِكِينَ أَهْلَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ، وَإِبْرَاهِيمُ يُرَدِّدُ الْقَوْلَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَبِي ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ، إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا

مجموعة قصص الأنبياء

مجموعة جديدة ، فى أسلوب سهل ممتع ، وإخراج أنيق جميل ، للصغار والكبار ، تصف حياة الأنبياء ، وجليل أعمالهم ، وتسرد ما صادفهم من حوادث مع أقوامهم ، خالية من الشوائب والإسرائيليات حتى تظل العقيدة سليمة نقية تمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى وحده ، والاعتصام بدينه وتعاليمه ، والتحلى بالفضائل الحسنة ، والتمسك بالأخلاق الكريمة .

برنامج المجموعة

٥ قروش ج.ع.م.	٥٠ فلساً فى العراق والأردن	٧٠ فرنكاً فى المغرب
٤٠ ق. ل	٥٠ فلساً فى الكويت	٠,٦ ريالا سعودياً
٥٠ ق. س	٦٠ مليماً فى تونس	١ شلنا } فى البلاد الأخرى
٥٠ مليماً فى ليبيا والسودان	٧٠ فرنكاً فى الجزائر	٠,١٤ دولاراً } فى البلاد الأخرى